الفاشية
بين النظرية والتطبيق

1

الفاشية اليوم
Fascism today

obeikan.com

ويبدو حتى أواخر ١٩٧٠ ، أن الفاشية كانت جثة هامدة . فالفاشيون في الأعوام ١٩٥٠ ، ١٩٦٠و ١٩٧٠ ، كانوا متمثلين فى مجموعه من الأحزاب الفاشية الصغيرة التى تشكلت ، و حققت شهرة وجيزة وانهارت بعد ذلك ، ولكن لم يكن هناك منظمات فاشية كبيرة أو دائمة ، كما أنها لم تكن مستقرة . أما في فرنسا بما في ذلك الغرب والنظام الجديد ، فقد تم تهميش الفاشية. وكانت الأحزاب القائمة وقتها ، ، تفتقر لعدم وجود الرموز القيادية الكبيرة لتساعدهم من الخروج من البرية. وفاز مرشحين الجبهة الوطنية (FN) في عام ١٩٧٩ بالانتخابات الأوروبية بنسبة ٣,٠ في المائة فقط من الأصوات. وفي وقت متأخر من عام ١٩٨١ ، كان جان ماري لوبان غير قادر على جمع ٥٠٠ توقيعا كان فى حاجة لها للوصول الى الرئاسة. وفي الأماكن الأخرى في أوروبا ، كانت القصة مشابهه ، ففي بلجيكا ، كان حزب فلامس بلوكVlams Blok عالقا حيث حاز نحو ١ في المائة فقط من الأصوات ، بينما في إيطاليا ، تأرجحت القوة الانتخابية «للحركة الاجتماعية الإيطالية [MSI] لأرقام تعد على أصابع اليد الواحدة ، وليس أكثر من حفنة من النواب في البرلمان» . وباعتراف الجميع ، كان هناك اثنان من الأنظمة العسكرية في أوروبا واسبانيا والبرتغال والتي تغطي فترة العصر الأول من الفاشية. على حد سواء ، ومع ذلك ، كانت يحكمها الطغاة الطاعنين فى السن فى وضع يشكل أزمة. وقد وصف أوزوالد موسلي أشهر المعروفين بالفاشية في بريطانيا ، ، في مجلة «نيو ستيتسمان» ، بوصفه «الإنكليزي الوحيد اليوم الذى يفوق الوصف».

في أواخر ١٩٧٠ و بداية ١٩٨٠، بدأ عزل الفاشية يصل إلى نهايته . وجاءت أول إشارة إلى أن الوضع قد تغير في عام ١٩٧٣ ، وذلك مع انقلاب الجنرال بينوشيه في شيلي. و جاء أكبر دعم قدم لبينوشيه من داخل الجيش ، ولا يمكن

وصف نظام بينوشيه بالفاشية تماما ، لأنه ظهر من خلال بنية الدولة القائمة حينها ، ولكن هناك عناصر فاشية متورطة فى الأمر ، وكان انتصار الإنقلاب الذى قام به «بينوشيه» يمثل دعمًا واضحًا لليمين المتطرف ، وذلك على الصعيد الدولي.

وأعقب نجاح بينوشيه نمو للجبهة الوطنية (NF) في بريطانيا. وفي عام ١٩٧٢ ، تم طرد الآسيويين الأوغنديين من قبل الرئيس «عيدي أمين» ، واستغلت الجبهة الوطنية هذه القضية. و أعقب ذلك تدفق المحافظين من اليمين المعارض في الجبهة الوطنية وبلغت عضويتها آنذك ذروتها لتصل إلى ١٤٠٠٠ عضو في عام ١٩٧٣. واستطاع الحزب اكتساب ثقة المرشحين في ٥٤ دائرة انتخابية في الانتخابات العامة في شباط / فبراير ١٩٧٤. و بعد ثلاث سنوات ، فازت «الجبهة الوطنية» ب ١١٩٠٠٠ صوتا في الانتخابات الكبرى للمجلس بلندن وهو رقم يقارب الربع مليون شخص تقريبا على الصعيد الوطني. ،وبدا لوهلة أن الجبهة الوطنية (NF) تحقق انفراجة وطنية ، ولكن تحت ضغط المعارضة الشعبية الفعالة ، والتى كانت تتألف من منظمات عديدة منها منظمة « الصخرة لمناهضة العنصرية »ورابطة مكافحة النازية (ANL) ، بدأ تقديم الدعم للجبهة الوطنية يضعف. وبحلول منتصف عام ١٩٨٠ ، أصبحت منظمة الجبهة الوطنية في حالة من الانهيار التام.

وجاءت نقطة تحول حاسمة مع الانتخابات الأوروبية في عام ١٩٨٤.فقد استفادت الجبهة الوطنية الفرنسية من التغطية الإعلامية المواتية ، التي أعقبت تحالفها الناجح مع اليمين المحافظ في الانتخابات المحلية في بلدة دريوكس الفرنسية (Dreux)

وكان جان ماري لوبن بالفعل شخصية بارزة على الصعيد الوطني ، ولكن النجاح الغير مسبوق للجبهة الوطنية قد جاء بمثابة صدمة. وفاز الحزب بنسبة ١١

Obeikan.com

في المائة من الاصوات مع ١٠ من مرشحيه المنتخبين حسب الأصول كنواب اليورو. وأصبحت الجبهة الوطنية محترمة وانتقلت الى المصاف السياسية الرئيسية. وذلك وفقا لما ذكره «بول هاينسوورث» (يقول) : جلب نجاح اليورو المزيد من التمويلات لأنصار الجبهة الوطنية ، مما مكن الحركة من تنظيم وإعداد نفسها على أساس وطني شامل. وبحلول عام ١٩٨٥ ، كانت الجبهة الوطنية قد أنشأت هياكل لها في جميع أنحاء المناطق الفرنسية ، والإدارات والمحليات مع ٣٠ أو يزيد من المكاتب المختلفة و الدائمة ، و كذلك تجديدها لقنوات التثقيف السياسي ، وحركة الشباب النشط التى تدعى (FNJ) مع العديد من الأنشطة الاجتماعية والمهنية والجماعات السياسية ، والدعاية وأقسام الصحافة وهلم جرا.. .وبالنسبة للعضوية ، أيضا فقد ازدادت وذلك حسب تصريح المتحدث باسم الحزب ميشال كولينتو » والذى يدعي أن وجود ٦٠،٠٠٠ من الأعضاء في عام ١٩٨٥ يمثل رقم أكثر واقعية ، وقفز الرقم من بضع مئات في عام ١٩٨٢ إلى حوالي ٣٠،٠٠٠ مع تواجد نواة نشطة أيضا تتألف من حوالي من ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ عضو.

ولقد مهد انتصار لوبان السبيل لمزيد من النمو. و بعد عام ١٩٨٤ ، حاولت الأحزاب الفاشية في جميع أنحاء أوروبا محاكاة الجبهة الوطنية ، ونجح الكثير منها فى ذلك. وفى أوائل عام ١٩٩٠ ، تم تعميم التجربة الفرنسية. وكان سقوط جدار برلين وانهيار الشيوعية وما صاحبه من حالات للانكماش الاقتصادي الدولي قد ساعد على تهيئة الظروف المواتية لصعود اليمين المتطرف.

وبناء عليه ، وحدت الأحزاب الفاشية نجاحاتها في مختلف أنحاء أوروبا. وخلال الانتخابات الأوروبية الألمانية لعام ١٩٨٩ ، وفاز الحزب الجمهورى الألمانى بـ ٢ مليون صوت ، وهو إنجاز تردد صداه بعد عامين متمثلا حصول

حزب الحرية النمساوي بقيادة « يورغ هايدر» على ٢٣ في المائة من الاصوات في الانتخابات المحلية في فيينا.

و في روسيا ، في عام ١٩٩٣ ، فاز جيرينوفسكي والأحرار الديمقراطيون بـ ٢٤ في المائة من الاصوات. وفي إيطاليا ، فتح انهيار الأحزاب السياسية السائدة فجوة على الأحزاب اليمينية . ورشح «جيانفرانكو فيني» نفسه لرئاسة بلدية روما في عام ١٩٩٣ وفاز مع نسبة ٤٧ في المائة في جولة الإعادة. و بعد سنة واحدة ، حققت «الحركة الاجتماعية الإيطالية» MSI ، والرابطات الشمالية بإيطاليا بقيادة «سيلفيو برلسكوني» (فورزا إيطاليا المتحدة Forza Italia united) الفوز في الانتخابات العامة.

وحاز «حزب فيني Fini's party» خمسة مناصب وزارية وأصبح أول حزب فاشي بالتحديد ينضم الى الائتلاف الحاكم من بلد أوروبي كبير منذ عام ١٩٤٥. وكما يقول «مارتن لي» : إنه كان لنجاح «فيني» أهمية تاريخية حيث يقول : على الرغم من أن حكومة برلسكوني لم تدم طويلا ، فقد كان لمشاركة «الحركة الاجتماعية الإيطالية» MSI تأثير كبير ، ليس فقط بالنسبة لإيطاليا ولكن لجميع أوروبا. وكسرت بذلك التابوه أو المحرمات المعادية للفاشية منذ أمد بعيد ، وأنشأت سابقة من السياسيين المحافظين ، الذين كانوا قد تجنبوا سابقا تحالفات مع اليمين المتطرف. وبذلك قامت الحركة الاجتماعية الإيطالية عبور عتبة بالغة الأهمية السياسية ، الأمر الذي جعل من التحالفات التي تنظم مع الفاشيين الجدد والمتنكرة في زي الشعوبيين من جناح اليمين أكثر قبولا وأكثر احتمالا في المستقبل.

وردا على نجاح هذه الأحزاب الفاشية انتقلت القوى السياسية الرئيسية إلى اليمين. وكانت هناك مذابح عنصرية في ألمانيا في أيلول / سبتمبر في مدينة «هوير

سويردا Hoyerswerda في عام ١٩٩١ ، وكذلك فى مدينة روستوك Rostock في آب / أغسطس ١٩٩٢. وقام هيلموت كول من حكومة يمين الوسط لحزب (الاتحاد الديمقراطي المسيحي) بالرضوخ لمطالب العنصريين ، حيث أنه بعد روستوك ، أمر «كول» جميع اللاجئين بالخروج من المدينة. و في ٢٦ أيار / مايو ١٩٩٣ قام البرلمان الألمانى «البوندستاغ» بتقييد القوانين التقليدية للجوء في ألمانيا الليبرالية. وبعد ثلاثة أيام ، تمت عملية حرق عرقيه لأربعة من الأتراك حتى الموت ثلاثة منهم كانوا قد ولدوا في ألمانيا ، في مدينة سولينجين.

وبالمثل ، وفي فرنسا ، استجابت الحكومة لصعود الجبهة الوطنية NF عن طريق إلقاء اللوم على ضحايا العنصرية أنفسهم. وفي عام ١٩٩٤ ، سعت الجمعية الفرنسية لقانون الجنسية الفرنسية إلى تقييد الهجرة لأولئك المنحدرين من أصول عرقية فرنسية. وقام المسؤولون الفرنسيون بترحيل عشرات الآلاف من الأجانب. وكان السبب وراء ذلك تشديد الرقابة على الهجرة بشكل أيديولوجي وبراجماتى (فلسفة الواقعية) :ومن خلال تبني السياسأت العنصرية تلك ، سعت الأحزاب التقليدية إلى اصطياد المؤيدين من الجماعات الفاشية، ومع ذلك ، فقد حدثت عملية معاكسة لذلك . فلقد رأى الناخبون للجبهة الوطنية NF أن التغيير فى موقف الأحزاب المحافظة كدليل على صحة مخاوفهم العنصرية. ولم تكن تلك القيود المفروضة على الهجرة إلا خطرا يهدد نجاح حزب الجبهة الوطنية في الانتخابات.

و الأحزاب الفاشية هي الآن جزء من الساحة السياسية التي أنشئت في كل بلد تقريبا من البلاد الأوروبية. وحتى بعد انهيار الائتلاف الذي يتزعمه برلسكوني «للحركة الاجتماعية الإيطالية MIS » ، والتي أعيدت تسميتها الآن بالتحالف الوطني ، فقد فاز بنسبة ١٥,٧ في المائة في الانتخابات التي جرت في حزيران /

obeikan.com

يونيو ١٩٩٦. وحقق «حزب الحرية» ٦, ٢٧ في المائة من الأصوات في انتخابات الثاني / نوفمبر ١٩٩٦ في النمسا، في حين أن سجل الاتحاد الشعبي الألماني في أيار / مايو ١٩٩٨، أكثر من ١٣ في المائة من الأصوات في ولاية ساكسونيا، ليصبح بذلك أول حزب فاشي منذ عام ١٩٩٠ يشغل مقعد في برلمان الولاية الألمانية الشرقية. و حاليا، وفي فرنسا، تسيطر الجبهة الوطنية بقيادة « لوبان » على أربعة من المجالس البلدية وهى : فيترول، طولون، أورانج و ماريان. وتمكن الحزب من الحصول على ١٥ المائة من نصيب الأصوات، في الانتخابات الرئاسية في عام ١٩٩٥ و الانتخابات البرلمانية عام ١٩٩٧، وكرر هذا في عام ١٩٩٨ بنسبة ١٥ في المائة أيضا من الأصوات.

و حقيقة أن حزب «الجبهه الوطنية» قد سجل تلك الأصوات لنفسه في ثلاثة انتخابات متتالية يشير إلى أنه قد بدأ في ترسيخ قاعدته الانتخابية، حيث أن الدعم لحزب الجبهة الوطنية لم يأت من ناخبين محتجين على نقص الانزام، ولكن جاء من ناخبين يعرفون مدى تفاني الجبهة الوطنية. وعلى بينة من الأيديولوجية الأساسية للحركة. والأكثر من ذلك، فقد انقسم نجاح الجبهة الوطنية وعلى نحو فعال إلى اثنين من الأحزاب المحافظة، اتحاد الجبهة الديموقراطيةUDF (يمين) وحزب التجمع من أجل الجمهورية (RPR)، وهم فصيلان معقدان، واحد أمنهم مستعد للعمل مع الجبهة الوطنية، والآخر ليس مستعدًا لذلك. وتخضع الآن خمس مناطق فرنسية من قبل ائتلاف من الديغوليين والفاشيين.

أما خارج أوروبا، فالفاشية أكثر ندرة. ففي الولايات المتحدة، هناك بيئة واسعة ومتنوعة من اليمينيين، بدءا من المحرفين للمحرقة ولوبي الحرية ومعهد البحوث التاريخية، ومن خلال العنصريين الذين يسمون أنفسهم« كو كلوكس

كلان» Ku Klux Klan ، والعنصريين البيولوجيين ، ونظريات المؤامرة التي تختص بالشخصيات المهيمنة داخل حركة الميليشيات والنازيين الأنقياء للأمم الآرية. و بالرغم من أن بعض الأفراد داخل هذا الوسط يعرفون أنفسهم كتابعين للتقاليد السياسية التي سبقت الفاشية ، إلا أن معتقداتهم تتسم بجوهر أساسي من الفاشية.

ويمكن ملاحظة حجم الحركة الفاشية فى الولايات المتحدة بشكل واضح في تداول جريدة «لوبي الحرية» ، والتي تبيع حوالي ١٥٠،٠٠٠ نسخة. وقد حاول العديد من الفاشيين الذين ترعرعوا على الأراضي الأمريكية باختراق الحزب الجمهوري. ويمكن ملاحظة نجاح هذه الحملة في ١٩٩١ والذى أدى بشخصية سابقة من الكو كلوكس كلان وهو « ديفيد ديوك» ليصبح حاكم ولاية لويزيانا ، وعلى الرغم من خلفيته النازية الموثقة جيدا ، وعنصريته المستمرة ، تم ترشيح ديوك كمرشح رسمي للحزب الجمهوري ، وحصل على ما يقرب من أغلبية الأصوات في المسابقة النهائية للانتخابات. واعتمد الفاشيون الأمريكيون الآخرون على اتباع منهج« التكتيكات الإرهابية » بأسلوب «المقاومة بلا قيادة« ، ومن أحد تلاميذهم « تيموثي ماكفي» ، وهو الذى أدين في عام ١٩٩٥ لتفجيرات أبريل فى مدينة أوكلاهوما .

وتلك الأمثلة من الولايات المتحدة كلها تشير لعملية هامة : أن مختلف المنظمات الفاشية تقوم ببناء طبقات دعم من ذوي الخبرة ، والكوادر المتأصلة الجذور في التقاليد الفاشية ،وتلك الكوادر نفسها قادرة على كسب وإيجاد أنصار جدد.

وفي ألمانيا ، وعلى الرغم من عدم وجود حزب فاشي واحد مهيمن ، إلا أن هناك العشرات من جماعات أصغر من الحركات الفاشية والتى تتلقى دعما كبيرا. وهناك

تقديرات لإدارة التحقيقات الجنائية الألمانية بوجود ٤٧،٠٠٠ من نشطاء اليمين المتطرف في ألمانيا في عام ١٩٩٧ ، وجميع الدلائل تشير إلى زيادة هذا الرقم في السنة التى تليها.

و في مناطق كبيرة من ألمانيا الشرقية ، نجد أن العنصرية والأفكار القومية المتطرفة هي المهيمنة. ومن الصحيح القول : إنه لا يزال في ألمانيا ككل ،عدم تطابق بين مستوى التنظيم الفاشي مع حجم الدعم الذى يصل إليه ، وهذا المعنى ، يدل على أن عدم وجود تنظيم لا يزال يمثل ضعفا. وعلاوة على ذلك ، وأنا سوف أقول ذلك في الخاتمة ، أن الأحزاب الفاشية الألمانية لا تزال ضعيفة نتيجة للحركة الجماهيرية ضد الفاشية الذي عكس في الواقع نمو اليمين المتطرف في عام ١٩٩٣-١٩٩٤. و في هذا المعنى ، فهذا يمثل الجانب الإيجابي للصورة ، والتي غالبا ما يتم تجاهلها. ومع ذلك ، فإن الخطر يبقى من توحد الجماعات اليائسة من أنصار الفاشية ، مما قد يؤدى إلى تنظيم فاشي كبير.

و في وقت كتابة هذا الكتاب ، تظهر مختلف الأحزاب الفاشية الألمانية علامات على مزيد من الوحدة والثقة بنفسها . و بحلول عام ١٩٩٧ ستعمل المجموعات الفاشية ، بما في ذلك حزب« داى ناشيونالن » .والحزب الوطنى الديموقراطى الألمانى (NPD) بالعمل مع أعضاء الأحزاب المحافظة الرئيسية ، وحزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي CDU والاتحاد الاجتماعي المسيحي (CSU) ، في معارضة ل «معرض متجول» والذى يستعرض 'جرائم الجيش الألماني» . ففي ميونيخ ، تظاهر ٤٠٠٠ من لنازيين ضد هذا المعرض فى مارس ١٩٩٧. واحتج اثنا عشر ألفا في مدينة دريسدن في يناير ١٩٩٨ ، في حين تظاهر ٣٠٠٠ في لايبزيج يوم ١ مايو. وكانت مظاهرة ميونيخ أكبر حدث لفاشية في ألمانيا منذ سقوط نظام هتلر.

و في بريطانيا ، وفي أوائل عام ١٩٩٠ مثلت تلك الفترة نموا فاشيا كبيرا. ففي سبتمبر ١٩٩٣ انتخب «ديريك بيكون» مستشارا محليا للحزب الوطني البريطاني (BNP) في منطقة بشرق لندن تسمى « جزيرة الكلاب Isle of Dogs».

في الفترة التي تسبق الانتخابات لمجلس أيار / مايو ١٩٩٤ ،كانت توقعات ورقة الحزب الوطني البريطاني لبرنامجها كما يلي : إن الحزب يستعد الآن لتولي السيطرة على ما يصل الى اثنين من المجالس المحلية في شرق لندن. وهذا من شأنه أن يجعل الحزب الوطني البريطاني يتذوق طعم السلطة الحقيقية ، وسيمكنه من السيطرة على عدة ملايين من الجنيهات الإسترلينية المخصصة لميزانيات الإسكان . والأهم من هذا الفوز بالسيطرة على المجالس المحلية ، إعطاء المصداقية الانتخابية للحزب الوطنى . وأيا كان ما سيحدث في ٥ أيار / مايو ، فقد تم إعداد الحزب الوطني البريطاني للهيمنة على السياسة البريطانية في عام ١٩٩٠.

ولحسن الحظ ، فشل نمو الحزب الوطنى للترقى إلى مستوى التوقعات الخاصة به. فلقد كان إحياء حزب العمال كقوة انتخابية بين عامي ١٩٩٣ و ١٩٩٧ عاملا أدى إلى تقويض الحزب الوطني البريطاني ، ووضع المصاعب أمام تلك المنظمة الفاشية حتى لا تشكل كيانا بديلا قابلا للتطبيق. والأهم من ذلك ، أن مجموعة متنوعة من الجماعات كانت مصممة على معارضة الحزب الوطنى البريطانيBNP . فلقد مشى موظفي الخدمة المدنية في «تاور هاملتس» خارجين فى إضراب احتجاجا على انتخاب « بيكون » وكذلك أكثر من ألف شخص من مناهضى العنصرية قاموا بمنع الحزب الوطنى البريطانى من بيع جرائده في منطقة «بريك لين» . وتم إحياء الرابطة المناهضة للنازية ، في حين أن مسيرات كبيرة مناهضة للعنصرية استمرت في التدفق ، ومنها مسيرة لمجالس الاتحادات التجارية من خلال مسيرات فى شرق

لندن ، وكذلك ١٥٠،٠٠٠ فرد من حزب مناهضة النازية ANL عام ١٩٩٤ الذين مشوا فى كرنفال خلق مناخا أدى إلى وقف الحزب الوطني البريطاني. وبالتالى خسر «ديريك بيكون» مقعده فى مايو ١٩٩٤ ومنذ ذلك الحين والحزب الوطنى BNP يتجه نحو الأفول والانخفاض.

و اليوم ، يبدو أن الخطر الداهم أقل في بريطانيا. فهناك فاشيون وأحزاب الفاشية ، لكنهم أضعف من نظرائهم في فرنسا والنمسا ، أو حتى ألمانيا. ومع ذلك ، سيكون من الخطأ أن نفترض أن الفاشية البريطانية ستبقى إلى الأبد ابن العم المسكين للحركة الفاشية الأوروبية. و في الانتخابات العامة أيار / مايو ١٩٩٧ ، صوت ٣٠،٠٠٠ شخصا للأحزاب الفاشية. وفى «ديوسبري» ، و «ليدز » ، كان الحزب الوطني البريطاني لا يزال هو الأفضل. وبالرغم من أن الفاشية البريطانية لا تزال مهمشة ، إلا أن هناك مناطق كاملة فى البلاد تلقى الأفكار العنصرية قبولا لديها. وفى كل عام ، هناك ١٣٠،٠٠٠ من الحوادث والهجمات العنصرية فى بريطانيا . وبالتأكيد ، فالأفكار العنصرية ليست هي نفسها أفكار الفاشية ، ولكن حيثما وجدت جيوب مفتوحة للعنصرية ، فذلك يمكن الفاشية من أن تنمو مرة أخرى.

ولما كانت الأحزاب الفاشية قد أصبحت تحظى بالاحترام ، وتم السماح بالتفكير الفاشي بالدخول في مجالات النقاش الفكري المهذبة. ومع انهيار ما يسمى بالأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية ، انجذب عدد من الكتاب والأكاديميين بعيدا عن الماركسية واليسار الليبرالية. وتحول بعضهم لما بعد الحداثة ، والبعض الآخر تحول لإحياء شكل من أشكال الحكم الاستبدادي المحافظ ، وتأثروا بكل من مارتن هايدغر ، الكسندر كوجيف ، بول دي مان ، روبرت ميشيل ، أوزوالد سبينجلر ، و كارل شميت . وتعد جريدة « بول بيكون تيلوز» مثالا جيدا لهذه

العملية الواسعة من النقاشات الفكرية

لقد تأسست تلك الجريدة في ربيع عام ١٩٦٨ كوسيلة لليسار، أو للماركسيين في كثير من الأحيان، للفلسفة النقدية. وبحلول أواخر ١٩٩٠، أصبحت تلك الجريدة تتسم بالعنصرية والشعوبية. وأشاد «بول بيكون» برابطة الشمال الإيطالية، بإفساح المجال أمام الفاشية الفرنسية متمثلة فى المفكر «ألان دي بونيست Alain de Benoist». وقد بررت جريدة «بيكون» موقفها من خلال الزعم أن ذلك بدعوى تثقيفية وليس بغرض الترويج للعنصرية البيولوجية: فكون أن الأفضلية هى للأوروبيين فى المقام الأول وليس للمهاجرين من أفريقيا أو الآسيويين، فإن ذلك لا يعد بالضرورة عنصرية. فهناك البعد الثقافي في التركيبة الاجتماعية للولايات المتحدة والرغبة فى الحفاظ على المجتمع الغربي فى إطاره «اليهودي المسيحي» والذى لا يعد بالضرورة بمثابة كراهية للأجانب.

و هذا التفضيل الثقافي «للأوروبى الأبيض» هو تعبير مهذب، أي ما يعادل الشعار الذى تتخذه الجبهة الوطنية فى فرنسا NP (فرنسا للفرنسيين) أو شعار الحزب القومي البريطاني (بريطانيا للبريطانيين). ووصف «روجر إيتويل» الاستعداد لقبول الفاشية المتنامية بأنه يستند إلى مجموعة خطيرة من المذاهب. وهو يقول فى ذلك: هناك دلائل متزايدة بأنه في غضون العشر سنوات إلى العشرين سنة القادمة، سيتم النظر إلى جوانب هامة من الفاشية في ضوء أكثر إيجابية. و في مطلع القرن العشرين، ستظهر مجموعة جديدة من الأفكار الفاشية والتى سوف تعمل على تحدي الأفكار السائدة من الليبرالية والاشتراكية. ولكن الفاشية لا تزال أيديولوجية لا نجرؤ على ذكر اسمها في أى شركة محترمة، ولكنها كمظلة مركزية... ويبدو أنها تعود إلى الظهور في مشهد العقلية الأوروبية.

فالفاشية ليست تهديدا فوريا. ولا يوجد بلد في أوروبا هو على وشك الذهاب الفاشية. لكن الفاشية مرة أخرى تعتبر جزءا من المشهد السياسي. وفي عام ١٩٦٠، لم تكن للفاشية علاقة بالجدل السياسي الدائر آنذاك. ولكن الفاشية أصبحت ذات صلة أكبر بالنقاشات السياسية بحلول عام ١٩٩٠، حيث لم تعد الفاشية مشكلة تاريخية بقدر ما أصبحت الآن جزءا من السياسة المعاصرة. وإذا كانت الأحزاب الفاشية قادرة على الحفاظ على الدعم المقدم لها ومن ثم البناء عليه، وإذا لم تواجه فترة أخرى من الإختراق، فستنعم بعصر آخر من النجاح مثل الذى كان فى أوائل عام ١٩٩٠، وعندها قد يكون هناك خطر حقيقي.

فصعود الفاشية في أوروبا ١٩٩٠ وبالمقارنة لظهور الفاشية في ١٩٣٠، كان به نفس العمليات ولكن كل ما فى الأمر أن السرعة أبطأ – في الوقت الحالي – .

إن المؤرخين الليبراليين الذين يكتبون عن الفاشية يعلنون أن الفاشية مجرد هراء. ويقومون بذلك عن طريق توجيه السؤال التالى: (هل يمكنك وصف لوبان بأنه فاشي؟) فتكون الإجابة (بالتأكيد)، ومؤيديه هم فقط من القوميين، والذين يتحركون بدافع من عدم ارتياحهم من موضوع الهجرة؟

وأما الفكرة القائلة: هل الفاشية هي في ازدياد! والإجابة ستكون أيضا «بالتأكيد»، وسؤال آخر حول ما إذا كانت أوروبا لن تشهد مرة أخرى أزمة، على غرار عام ١٩٣٠؟ وهل سيكون من قبيل المبالغة أن تقارن أزمة الفاشية عام ١٩٣٠ بما يحدث فى يومنا هذا؟

وهناك جدل شائع حول ما إذا كانت الجبهه الوطنية الإيطالية FN أو أن التحالف الوطني الايطالية «AN» ليسا فاشيين، ومع ذلك، نفترض جدلا أنهم يعتمدون على التصريحات العلنية لقادة معينين. ولنأخذ مثالا على الجبهة الوطنية،

Obeikan.com

فما يقوله « لوبان » للأمة بخصوص موضوع « الهجرة » أكثر بكثير مما يقوله بشأن معاداة السامية أو العنصرية ، و كما يوحي «جاي بيرينبومGuy Birenbaum » ، فإن الضغط من جهة حزب الجبهة الوطنية بشأن موضوع الهجرة هو قرار استراتيجي -- فالجبهة الوطنية تلعب ببطاقة الهجرة لأنها ترى أن ذلك هو أفضل وسيلة لكسب التأييد لها.

وتحت سطح الفكر الفاشي ، كانت هناك لعبة أولا تم التجهيز لها في الأسفل ومن ثم يتم استعادتها الآن. فالجبهة الوطنية لا تقوم بالمحاكاة بشكل من الأشكال بمعنى : لا هى ببساطة تتبع الفاشية التى كانت في الماضي ، كما أنها لا تتشارك فى كل المواقف الأيديولوجية لهتلر وموسوليني. فهناك عناصر أيديولوجية ل « لوبان» توصف بأنها « فرنسية» ، وهذا ليس مستغربا ، فجميع القوميات تحتوي على ميزات محددة تبعا لجنسياتهم.

وبهذه الطريقة ، نجد أن الجبهة الوطنية الآن أكثر إهتماما بتراثها من حرب الجزائر أكثر من اهتمامها بالأحزاب الشقيقة لها في اسبانيا أو النمسا ، بل هى أيضا أكثر فى «حدتها الكاثوليكية» من الأحزاب التى تعادلها في أوروبا الشمالية.

إن الجبهة الوطنية لا تسعى لإقامة دولة المؤسسات ، كما أنها لا تسعى للتوسع الإقليمي. ويشير كل من «جان ايف كامو» و«رينيه مونزات » إلى أن منظمة (الجبهة الوطنية) لا تقبل معاداة السامية من الحزب النازي ، وكذلك ما قيل عن نقاء دم هتلر والتراب الوطنى . و في عام ١٩٨٠ ، كانت الجبهة الوطنية أكثر حداثة فى ليبراليتها من الأحزاب الفاشية الكلاسيكية ، وعلى الرغم من انخفاض أسهمها قليلا نتيجة لدعمها للسوق الحرة. إلا أنه ينبغي أن يتم وصف « الجبهة الوطنية » بالفاشية ، لأنها تتبع أهم جوانب الفاشية الكلاسيكية. فالجبهة الوطنية

توصف بأنها عنصرية وقومية وعسكرية النزعة. فهى تؤيد سياسات لإجبار المرأة للخروج من العمل والعودة إلى المنزل، وقام المسلحين التابعين للجبهة الوطنية بالاعتداءات البدنية على عيادات الإجهض. و يصف «ريتشارد جولسان» جذور الجبهة الوطنية بقوله التالى: إن «لوبان» ليس ابنا لوالدين نازيين، ولا يتحدث في مسيرات من الأعضاء السابقين في قوات الأمن الخاصة. لكنه ادعى انه من بين أصدقائه الرئيس السابق لحركة «ريكسيست» Rexist فى بلجيكا، وهو «ليون ديجريل». ويردد أيضا و بشكل مستتر تصريحات بشأن معاداة السامية وتعليقات حول المحرقة التي تنضح بالتحريفية التاريخية من النوع الأكثر سوءا... وأخيرا ،فإن أولئك الذين شهدوا عن قرب التكتيكات الخاصة بالحملة الانتخابية لحزب الجبهة الوطنية والآثار التى ترتبت على وصولها إلى السلطة يمكنه الوصول لأوجه التشابه القوية التى كانت موازية مع صعود النازية.

إن أفضل دليل على الاستمرارية بين لفاشية الإيطالية والألمانية هو رغبة الجبهه الوطنية لبناء «حزب جماهيري» ،وذلك من أجل إسقاط الدولة. وأقول رأيي فى هذا، بأن هذه الشعبوية الفاشية هي واحدة من أكثر العلامات المعبرة عن الاختلاف بين الأحزاب المحافظة والفاشية في التقليد السياسي.

ويمكن النظر إلى فاشية الجبهة الوطنية عندما قال لوبان لاتباعه سيتم جمع شمل قواتنا الوطنية بحيث يتم سماع صوت فرنسا مرة أخرى، قوية وحرة. وكان الفكر الفاشي الذي قاد الجبهة الوطنية في أيار / مايو ١٩٩٠، يصر على أن تدنيس المقبرة اليهودية في «كاربنتر» كان كذبا، وتم اختراعه من قبل الدولة. ومرة أخرى كانت أيديولوجية و فكر الفاشية واضحة للعيان في نيسان / أبريل ١٩٩٦، عندما ألقى «برونو جولنيك» محاضرة عامة للدفاع عن المتطوعين الفرنسيين المسمون

بإسم « قصر سام» وهى (حركة مناهضة للبلشفية) ، و كذلك الدفاع عن الفرنسيين الفاشيين الذين تطوعوا للقتال إلى جانب الألمان ضد روسيا في الفترة بين أعوام ١٩٣٩-١٩٤٥.

والجبهة الوطنية هى نسخة من النازية المعادية للسامية ، وهذا ما حدث عندما أشار« فرانسوا برينيه » إلى ضحايا المحرقة واصفا إياهم ب ٦ مليون من صغار احمالين « لبنك كبير فى إسرائيل» على حد وصفه.

وبدت معاداة السامية واضحة أيضا في وصف لوبان للمحرقة بأنها مجرد تفصيل في التاريخ ، في ادعائه بأن «الدولية اليهودية تعمل ضد المصلحة الوطنية الفرنسية وهجومه على أحد منافسيه قائلا له : بأنه« عضو فى البرلمان اليهودي ». وأعلنت واحدة من الملصقات الإعلانية الاكثر شعبية للجبهة الوطنية مامضمونه أن 'اثنين مليون مهاجر يساوي «اثنين مليون من العاطلين عن العمل».

واستخدم حزب العمال القومي الاشتراكي الألماني لهتلر (حزب النازي) نفس تلك الصيغة. والواقع أنه من الصعب قراءة ما يقوله لوبان عندما يتحدث في مؤتمر الجبهة الوطنية في «لو بورجيه» من دون ذكر تسميات صحفية مشابهة للكلمات التى كان يقولها هتلر في نورمبرغ في عام ١٩٣٠ وإليكم ما يحدث قبل أن يقوم لوبان بإلقاء خطابه تفصيلا : فبحلول المساء كل شيء يكون جاهزا لظهور الزعيم. ويتم إطفاء أنوار المدرج وترتفع آلاف الأيدي بشعلات النيران عاليا في الظلام (ملحوظة : لأن رمز الجبهة الوطنية هو عبارة عن اللهب) وتزيد الأغاني الوطنية الوضع التهابا .. ويرفع الأزواج من الشباب أطفالهن عاليا للحصول على لمحة من الرجل العظيم. و عادة ، فإن لوبان يقوم بعملية «الإحماء» لجمهوره وذلك عن طريق ذكر أسماء أولئك الذين وجهوا له «الإهانة» (أسماء يهودية فى الغالب) ، و الجمهور

يصدر أصواتا « هادرة» تعبيرا عن الكراهية بعد كل اسم يقوم « لوبان بذكره. ثم يتوقف ويذكر جمهوره بأن يسوع كان غاضبا عندما رأى التجار في المعبد، وأنه عندما تعرض لاهانة أي (لوبان) ، من قبل الصحفيين أو شيء من هذا القبيل فيقول لوبان عن نفسه «و أنا ، مثل يسوع ، الذى عرف عاطفة الغضب». والنتيجة هو هتاف مبتهج لهذا الأسلوب البسيط : وبعد دقيقة واحدة ينبح الجمهور مثل كلب مسعور معبرين عن كراهيتهم للصحفيين اليهود ، وتتعلق الأنظار هناك في السماء ، مع الزعيم جنبا الى جنب مع يسوع المسيح.

وسيكون من الخطأ التركيز فقط على قيادة الجبهة الوطنية NP. فنادرا ما يتم أخذ القرار بشأن انتخاب شخصيات من الأحزاب السياسية عن طريق استخدام اللغة الرسمية لتصريحاتهم للعامة فقط ، بل يتم تحديد تلك الشخصيات في كثير من الأحيان بشك مسبق وذلك من خلال العمليات التي يتم فيها تحويل المؤيد السلبي إلى عضو مؤيد للحزب. ويصر « راي هيل» ، الذي كان عضوا بارزا في الجبهة الوطنية في بريطانيا ، على أن وجهت النظر هى حجر الأساس الحقيقي للجبهة الوطنية ، ولا تتم من خلال التصريحات من قادتها وحسب ، ولكن من خلال البيانات وأنشطة أعضائها.

وبالنظر إلى الصورة من أسفل إلى أعلى للأحزاب الفاشية يجعل من الواضح فهم أين يقفون حقا : فلجنة المؤسسين للجبهة الوطنية تشمل مدافعي فيشي ، وقدامى المحاربين وقوات من المخابرات و الكاثوليكيين من الأعضاء بجماعة إرهابية تدعى «التفوق الأبيض» white supremacist الذين حاولوا قتل الرئيس شارل ديغول. وفي خطب الجبهة الوطنية تجد هناك تجمعات للجبهة الوطنية من« بيتان» ، والمعادين للسامية وبائعى الكتب عن هتلر ، في حين أن وكالة الاقتراع «سوفريس»

وجدت في دراسة أجرتها عام ١٩٨٤ عن عضوية الجبهة الوطنية بأن ربع هؤلاء الأعضاء يسعون لانقلاب للوصول إلى السلطة.

وفي عام ١٩٩٠ ، عندما طلب من بعض الممثلين لحزب الجبهة الوطنية والذين كانوا يحضرون المؤتمر السنوي على آرائهم بخصوص بعض الموضوعات ، فكانت النتيجة أن ٧٩,٩ في المائة اتفق مع فكرة ان «القوة المالية يسيطر عليها اليهود» ، في حين أن ٦٠ في المائة يريد أن يتم « قمع المثلية الجنسية »(أي الشذوذ الجنسي).و فقط ١ في المائة اتفقوا فى أن «أفضل نظام سياسي هو الديمقراطية» ، مقارنة إلى ٩٦ في المائة الذين وافقوا على الاقتراح بأن 'أفضل نظام سياسي هو «التسلسل الهرمي الذي يديره الرؤساء».

و الفاشية كلمة لا تزال ترتبط بالمحرقة ومجازر الحرب العالمية الثانية. وهى تمثل مصطلحا لا يزال بغيضا ، و يعد تهرب مؤيدى الفاشية منها دليلا على ضعف الفاشية المستمر. فلو حدث أن توقف أنصار الفاشية عن إنكار أنهم فاشيون ، وعندما يذكرون أن المحرقة كانت إنجازا مجيدا بدلا من انكار ذلك صراحة ، سيكون هذا هو الوقت المناسب لأعداء الفاشية بالشعور بالقلق. و على الرغم من أن الجبهة الوطنية نفسها تدرك تماما أن كلمة «الفاشية» لا تزال تشكل إهانة ، وأنه ولكى ينجح أي شكل من أشكال الفاشية ، فيجب أن تجد تلك الفاشية لنفسها اسمًا آخر. وقد وصف «برونو جولنيش » ذلك بما أسماه «معركة المفردات». ويستدرك برونو قائلا : أن هذه المعركة السياسية هي معركة لغوية. وهذا هو السبب في ان الجبهة الوطنية تصف نفسها بعبارات مثل «لا يمينا ولا يسارا» ، بل «الطريق الثالث». والأحزاب الفاشية المعاصرة تريد تغيير اسم عقيدتها دون إفراغها من مضمونها. و لهذا السبب ، فإن المؤرخين الذين يصفون القوات الجديدة باسم

«اللوبانيين» (نسبة إلى « لوبان») أو باسم «الشعبوية الوطنية» ، يقومون بإضافة الحلوى للقضية لكنهم فى الواقع يقومون بمساعدة الفاشيين في مهمتهم.

فمن الخطورة أن نزعم أن الأحزاب الفاشية المعاصرة ليست في الواقع فاشية ، وكذلك قبول فكرة أن الليبرالية فى أوروبا ، أو في العالم تعمل بمثابة تأمين من الأزمات . فمنذ عام ١٩٩٧ ، وبخصوص اقتصادات النمور الآسيوية ، التى كان يشاد بها حتى وقت قريب بأنها مثالية ونموذج يحتذى به فى الرأسمالية الدولية ، منيت بهزيمة مطلقة. وفي يناير ١٩٩٨ ، قدرت البنوك اليابانية مجموع ديونها ب ٧٦ تريليون ين. ومن قبل ، آذار / مارس ١٩٩٨ فى الدولة الكورية الجنوبية ، يدين تكتل من كبريات الشركات ب ٢٠٠ مليار دولار مستحقة للبنوك. وقدرت ديون الاقتصاد الأندونيسي بأنه يوازى ١٢٠ مليار دولار على المكشوف ، وهذا الرقم يقابل الديون لكل من الفلبين وتايلاند وماليزيا مجتمعة.

وكانت نصف ديون كورية الجنوبية مستحقة السداد في غضون الأشهر الاثني عشر المقبلة ، ولكن بحلول حزيران / يونيو ١٩٩٨ ، كان الاقتصاد الكوري الجنوبي كان في حالة من الركود لمدة ٣٦ شهرا. وكان الين الياباني قد انخفض في القيمة بنسبة ٢٠ في المائة منذ عام ١٩٩٤ بينما وصلت النسبة من جميع الوظائف في تايلاند المعرضة للخطر إلى ١٠ في المائة. وكاستجابة لهذه الأزمة المتنامية ، فقد حاولت النظم المختلفة استخدام تكتيكات مختلفة للفت الانتباه بعيدا عن فشلهم. وبعض هذه الحيل كانت مألوفة. ففي اندونيسيا ، حاولت المؤسسة السياسية إلقاء اللوم من جراء انهيار الاقتصاد على العملة المهاجرة الصينية لأندونيسيا ، بينما ، في ماليزيا ، أعلن « مهاتير محمد» ، رئيس اوزراء ، أنه تم خلق أزمة العملة تلك من قبل «مؤامرة يهودية» .

إن التركيز على عنصرية هذه الأنظمة ، ينتقص من الأهمية الحقيقية للحالة. والنقطة الأهم من ذلك هو أن انهيار النمور الآسيوية هي علامة ضعف ، حقيقي ودائم في الاقتصاد العالمي.

فالرأسمالية ، كنظام ، لا تزال عرضة للأزمات الاقتصادية ، وإذا عادت تلك الأزمة ، فإن ذلك يعنى عودة الفاشية أيضا.

إن أزمة النمور الآسيوية لم تكن فقط أزمة اقتصادية ، ولكن مشكلة سياسية أيضا. ففي أيار / مايو ١٩٩٨ ، أثيرت احتجاجات طلابية في جاكرتا كحركة من أجل الديمقراطية. وانضم العمال لها ، مع اضرابات في مصانع الأحذية ومصانع الأخشاب ، والملابس والقرطاسية ، و العمال في مصانع المطابخ وشركات الأدوية. وذلك لمدة ثلاثة أيام ، وكانت المدينة غارقة في الاحتجاجات والسلب والنهب والهجمات على المباني.

وعلى الرغم من محاولة أنصار الرئيس الاندونيسي سوهارتو لتحويل الحركة باتجاه العنصرية ضد الصينيين ، إلا أن غالبية المحتجين رفضوا هذه العنصرية ، وركزوا فى هجومهم على الرموز المرئية للنظام. وقد خرج الملايين من هؤلاء المحتجين الى الشوارع ، واضطر سوهارتو إلى الاستقالة. وكانت تلك الثورة الاندونيسية تمثل حركة ناجحة للديمقراطية ، قام بها الطلاب والعمال والفقراء. وهذا يوضح أنه تحت وطأة الأزمة الاقتصادية ، يمكن للمجتمعات أن تتحول إلى اتجاهات مختلفة .... وليس بالضرورة نحو الاستبداد والفاشية ، ولكن ربما نحو مزيد من الديمقراطية كبديل لذلك.

وبالفعل ، شهدت السنوات العشر الماضية ، ليس فقط إحياء الفاشية ، ولكن أيضا إحياء للحركات النقابية المتشددة ، وبعث القوى المتطرفة اليسارية.

ففي ايطاليا ، جاءت حكومة برلسكوني نتيجة للتحالف بين المحافظين والفاشيين ، عن طريق القيام بإضراب عام ضخم. وفي فرنسا ، قوض ٢ مليون من عمال القطاع العام حكومتهم المحافظة ، في ديسمبر ١٩٩٥ وذلك أدى إلى خلق إمكانية للتطرف الآتى من أسفل المجتمع.

و في ألمانيا ، كانت هناك إضرابات جماهيرية ضد التهديد الذى تشكله البطالة ، بينما في الولايات المتحدة ، قام عمال خدمة الطرود الأمريكيين بإضراب في عام ١٩٩٧ من أجل أن يتم التعاقد معهم بعقود دائمة ، ووجهوا لأصحاب العمل الأمريكيين أول هزيمة يذوقونها خلال خمسة عشرة أو عشرين عاما مضت .

إن هذا التشدد الجديد الذى طرأ على الساحة مهم ، ويشير إلى أنه سيكون من الخطأ أن نرى أن النجاح المستمر للفاشية كما لو كان شيء لا مفر منه. وليس عودة الفاشية فقط ، ولكن ستكون هناك عودة لقوى أخرى كذلك. وتقترح «روزا لوكسمبورغ» الشهيرة بأن المسابقة في المستقبل ستكون بين الاشتراكية و الهمجية ، لأنه من الواضح أن الاشتراكية لا تزال تمثل جزءا فاعلا من هذا الاختيار.

ومع ذلك ، يبقى صحيحا أن الفاشية ، التي كانت صغيرة ، والتى كان لها تقاليد لا تحظى بشعبية ومعزولة تماما منذ عشرين عاما ، وقد ولدت من جديد. ، لأن الفاشية سمة متكررة للرأسمالية الحديثة. وتتغذى الفاشية على الإحساس بكل من المرارة والاغتراب من قبل الجماهير العريضة ، وكلا (الرأسمالية والفاشية) يتغذى على جرعات منتظمة من البطالة والأزمات. و هذا اليأس هو وقودها ، الذى يحفز على نمو المزيد من الفاشية. فحياة الفاشية تتمثل فى العنصرية ، والتميز على أساس الجنس والنخبة ، في حين أن الرأسمالية تعزز الأحكام المسبقة الخاصة بها ، وتحاول إرتداء ثوب المشاعر المشتركة بين المعتقدات ، والتي يبدو أنها تناسب تجارب الناس

وخبراتهم ، في حين أنها بذلك تقصد أن تعيق هؤلاء الناس من تحدي النظام. والرأسمالية تولد الأساطير العنصرية والنخبوية ، والتي يستخدمها الفاشيين لتحقيق مصالحهم. و يفسر« مارك نيوكلس» استمرار وجود الفاشية عن طريق عقد مقارنة بين الرأسمالية من عام ١٩٣٠ مع الرأسمالية اليوم ، بينما يشير «كولن سباركس » أيضا إلى أن معتقدات الفاشيين يبدو أنها تروق لبعض الناس حيث يقول: إن الأفكار التي تطرحها العنصرية والفاشية تبدو أنها موجهة إلى الطبقة العاملة ، لتقديم حلول لهم بسبب تداعيات الأزمة الاقتصادية ، والمساكن السيئة والبطالة وانخفاض مستويات المعيشة. فالضغوط التي تؤدي بالناس نحو العنصرية والفاشية هى «الضغوط المادية الحقيقية» .ولتدمير الأفكار ، فلا بد لنا من إزالة قعدتها المادية أولا .

وإذا كانت الحجة القائلة بأن الفاشية هي سمة متكررة للرأسمالية حجة سليمة ، فيترتب على ذلك أن الفاشية ليست مجرد انحراف تاريخي ، ولكن تقاليد حية وخطرة التي من شأنها تكرار جرائم الماضي. وأولئك الذين يعارضون الفاشية فى حاجة إلى أن يكونوا واضحين حول التعرف على عدوهم وكيفية محاربته ، وعلى هذا الأساس ، ينبغي تناول أي نظرية للفاشية.